جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 03. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

البلاغة التداولية في الخطاب النبوي وأثرها على المتلقي

أحاديث مختارة_كتاب الإيمان_صحيح البخاري

Pragmatic rhetoric in prophetic discourse and its effect on the recipient

Selected Hadiths - The Book of Faith - Sahih al-Bukhari

د.علي بولحجار[1]
Boulahdjaralidz25@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/03/28 تاريخ النشر: 2026/06/11
Received: 28/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص المقال:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر البلاغة في بناء الفعل الكلامي التداولي، وذلك لتعزيز العملية التواصلية من خلال الاستعمالات اللغوية الوظيفية، التي تدرس المفردة بناء وتركيبا في سياقات جمالية لأهم الخطابات اللغوية التواصلية منها الخطاب النبوي، الذي يعده الدارسون حقلا واسعا للدراسة اللغوية الوظيفية، الغرض منها الكشف عن التغيرات في المواقف بين المتكلم والمخاطب، وهو ما يدفعنا للإجابة عن بعض التساؤلات، هل توجد بلاغة تداولية، وهل يعد الخطاب النبوي خطاب تواصليا، وما مدى قوة الفعل الكلامي وأثره في بناء الموقف عند المخاطب، وهل هناك أثر بلاغي في بناء الفعل الكلامي في الخطاب النبوي.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التداولية، الخطاب، السياق، الحديث النبوي.

Abstract:

This study aims to demonstrate the impact of rhetoric on the construction of pragmatic speech acts, thereby enhancing communication through functional linguistic uses. It examines the structure and composition of words within the aesthetic contexts of key communicative discourses, including prophetic discourse. Scholars consider prophetic discourse a vast field for functional linguistic study, which seeks to reveal shifts in attitudes between speaker and listener. This leads us to address several questions: Does pragmatic rhetoric exist? Is prophetic discourse communicative? What is the power and impact of speech acts on the listener's attitude? And is there a rhetorical influence on the construction of speech acts in prophetic discourse?

.**Keywords**: Rhetoric, Pragmatics, Discourse, Context, Prophetic Discourse

[1]_جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة (الجزائر).

مقدّمة:

تعد المفردات اللغوية من خلال التركيب المفيد ديناميكية فاعلة في العملية التواصلية، كما تعد مظهرا مؤثرا من خلال جماليات السياق الوظيفي في بناء مختلف العلاقات والروابط بين المتكلم والمخاطب، لأن هذه الاستعمالات حتمية لازمة لإدراك الفعل المؤثر والمصدر للمواقف المنتجة لمختلف المستويات الخطابية الفاعلة، وللقيم الحضارية الإنسانية.

وبالنظر إلى المسارات التاريخية للغة ندرك حقيقة هذه المفاهيم من الأزمنة، والأمكنة التي تطورت فيها هذه المستويات الوظيفية للغة، وبخاصة اللغة العربية، ولعل أهم هذه المراحل التي تبلورت فيها هذه الاستعمالات الوظيفية هو وجود صراع أيديولوجي نفعي في أحد طرفيه أسهم في ظهور المستويات الخطابية منها الخطاب القرآني والخطاب النبوي.

يتميز الخطاب النبوي في بنائه على ركزتين هامتين أحدها الغيبيات التي تعد أساسا في بناء المعنى الجديد، والآخر في النظام التركيبي الذي تعد البلاغة أحد أهم صوره مساهمة في العملية التواصلية، ولهذا أردت أن أقف على أهم محاور هذه الدراسة من خلال الكشف عن مميزات الخطاب النبوي أولا، وتوظيف الإستراتيجيات اللغوية ثانيا للإجابة عن بعض التساؤلات المؤسسة للإشكالية الرئيسة منها:

هل يعد الخطاب النبوي خطاب تواصليا؟ وكيف أسهمت البلاغة في إثراء الخطاب النبوي تداوليا، وما هي وظيفة الإستراتيجيات اللغوية في تكوين الخطاب البلاغي التداولي؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات كان الهدف من هذه الدراسة الكشف عن الآتي:

1_القيمة البلاغية التداولية في الخطاب النبوي.

2_ أثر الإستراتيجيات اللغوية في بناء المواقف عند المتلقي.

3_دور الآليات البلاغية (التشبيه، الاستعارة، المجاز) في بناء الخطاب النبوي.

اعتمدت في دراستي للبلاغة التداولية في الخطاب النبوي على المنهج الوصفي من خلال أداتي التحليل للكشف عن قيمة الخطاب النبوي من الناحية البلاغية والتداولية، والاستقراء لبعض الشواهد الحديثية المختارة من كتاب الإيمان للإمام البخاري في صحيحه.

ومن أجل الوصول إلى أهم النتائج والمقاصد التداولية في الخطاب النبوي كانت لنا خطة موزعة على محورين بعيدا عن التعريفات الخاصة بمفهومي البلاغة والتداولية، أحدهما مميزات الخطاب النبوي، والآخر أهم الاستراتيجيات اللغوية التي كشفنا من خلالها عن القيمة التداولية في هذا الخطاب.

أولا: مميزات الخطاب النبوي

يهدف الخطاب النبوي من خلال الأقوال والأفعال والتقريرات النبوية إلى مد جسور التواصل وبناء علاقات نفعية مبنية على أسس وأطر تسهم في تميزه عن غيره من خلال استثماره لجماليات اللغة، وتوظيفها في التواصل الذهني واللساني بين المتكلم والمخاطب لبناء المنظومة المجتمعية الحضارية، ومن أهم هذه المميزات:

1_المقامية:

تعد المستويات الخطابية عند المتكلم أساسا في وضع التركيب المناسب من خلال اختيار الألفاظ والمعاني للأداء التواصلي، لأن الفعل المقامي واحد من بين الأساسات والقواعد المؤثرة في تنظيم المنظومة اللغوية الوظيفية لبناء الموقف أو الصورة الفنية عند المخاطب، ولهذا نجد أن التصور المقامي في ذهن المتكلم حتمية فاعلة في البناء اللغوي أولا، وفي الفعل الأدائي ثانيا، وهو ما نجده في الخطاب النبوي لبناء الفعل الكلامي، الذي يؤسس للصورة التواصلية المشاهدة بين ألفاظ الخطاب النبوي المقامي ، والأثر الذي تركته في بناء المواقف عند المخاطبين، لأن الخطاب النبوي متفاوت على غيره من حيث البنية النصية التي ترتكز على فارق الوحي بينها وبين الكلام العربي، وهو ما أشار إليه السكاكي بقوله:" لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة...ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به والذي نسميه مقتضى الحال" (السكاكي، 1987م، صفحة 168)، ويؤيد في هذا قول الجاحظ:" ينبغي على المتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك الكلام ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" (الجاحظ، 1998م، صفحة 138_139).

2_الإلزامية:

يتميز الخطاب اللغوي من خلال ظاهرة التقييد (التوابع، الضمائر...) بقوة في التحكم والسيطرة على عدم التداخل بين العلاقات المنظمة للحوار المبني على الاحترام من خلال ضبط الفعل الكلامي وتوجيهه وفق رغبات المخاطب وقصدية المتكلم.

وأما في الخطاب النبوي فالقصد منها أن الفعل الكلامي موجه للمخاطب مقيد في أقصاه، إذا يلقي عليه أثرا مقيدا بوصف مآلاته إلى مساحة زمكانية جديدة وتصور تتضح فيها معالم التأثر والتأثير، من خلال مصطلحات هي أصل في توجيه وبناء هذا الفعل (الأمر، النهي، المكروه، المباح، المستحب...)، ولهذا نجد الخطاب النبوي من خلال أساليبه ومصطلحاته قوي في ضبط أثر الفعل عند المخاطب وتوجيهه، لأن مصدر هذا الفعل نابع من سلطة العدل(النبوة)، التي أساسها الرغبة في التوجيه والحماية، ونتاجها الخضوع والتسليم والجزاء.

3_ القصدية:

للقصدية أهمية كبرى في تكوين الخطاب يقول التهانوي:"أهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولا للفظ عندهم، فإن الدلالة عندهم فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقا سواء أراده المتكلم أم لا"، وهو ما جعلها عند سلر و روبيرت ذي جراند (جراند، 1998م، صفحة 103_105) أحد المعايير السبعة في بناء النص التداولي، يقول طه عبد الرحمان مبينا قيمتها في بنية الخطاب حيث أطلق عليها مصطلح المعرفة المشتركة وهي:" جملة من الاعتقادات والتصورات والتقويمات على الذات والغير والأشياء والمعاني، يشترك فيها المتكلم والخاطب مع جمهور الناطقين...".

وأما الخطاب النبوي فالقصدية البلاغية فيه وظيفة لغوية تتعدى مفهوم التداول ونقل هذا الغرض إلى المتلقي من أجل الإقناع، بل القصد هو الزيادة في الإقناع من خلال الزيادة في التركيب الوظيفي الجمالي لبناء الأفعال المؤثرة، حيث تصبغ البلاغة هذه المفاتيح الوظيفية بصبغة الجمال والانتقاء، ولهذا نجد ذلك التفاعل في الاستجابة للخطاب النبوي لدى مجموعة خاصة من المخاطبين تتحدد تصرفاتهم وانفعالاتهم وفق الرغبة المدركة من هذا الخطاب الذي اتسعت مساحة أثره على الفرد والجماعة.

وما استنتجه مما سبق أن القصدية هي الغرض الوظيفي الذي يؤسس ويكشف عن التفاعل الداخلي بناء على رغبة ذاتية أو جماعية، حقيقتها المشاهدة وغايتها الإقناع والتأثير على المتلقي للتحكم في أفعاله وتوجيه مواقفه.

ثانيا: استراتيجيات الخطاب النبوي

إذا أردنا أن نتحدث عن القيمة التواصلية، أو الاستعمالات الوظيفية للغة في الخطاب النبوي، حتما سيقودنا البحث إلى التنقيب عن مختلف الإستراتيجيات التي استعملها النبي ﷺ في إيصال الرسالة والغرض منها، ولعل أهم هذه الإستراتيجيات التي كشفت لنا عن هذه القيمة البلاغية التداولية في الخطاب النبوي الآتي:

_مفهوم الإستراتيجية:

- **مفهومها لغة:**

لم يكن مفهوم الاستراتيجية عند المتقدمين مفهوما واضحا، بل كانت إشارات مبثوثة في معاجمهم مثل التخطيط والتنظيم، وأما عند المعاصرين فقد ارتبط المفهوم اللغوي لمصطلح الاستراتيجية بالأصل اليوناني"strategia " والتي تعني القيادة العسكرية، أو فن الحرب..." (أكسفورد، 1996، صفحة 20).

أقول: لا توجد مسافة فارقة بين المعنيين عند المتقدمين والمعاصرين، لأن التخطيط أساس في القيادة، والتنظيم وصف له، وهو ما يتطابق مع تحقيق جميع الأهداف في مختلف العلوم اللغوية وغيرها.

- **مفهومها اصطلاحا:**

تعدد المفهوم الاصطلاحي للإستراتيجية فهو عند ميشيل فوكو:" عمل عقلي مبني على افتراضات مسبقة تتجسد من خلال أدوات، ووسائل تناسب سياق استعمالها" (ديريفوس، رابنوف، و فوكو، صفحة 200)، وعند الشهري:" عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ ويستحسنه المرسل" (الشهري، 2004م، صفحة 62).

بالنظر إلى المدلول اللغوي والمعنى الاصطلاحي نجد ذلك التوافق في المعنى العام وهو التخطيط، ولهذا فالإستراتيجية هي نوع من التنظيم والتخطيط الذهني عند المتكلم، أساس بيانه مفردات يعبر بها عن موقف محدد، الغرض منه استمالة المخاطب، والتأثير على أساسات بناء مواقفه، ولعل أهم الإستراتيجيات التي وقفنا عليها في الخطاب النبوي الآتي:

1_الإستراتجية التضامنية:

التضامن أو البعد الاجتماعي (الشهري، 2004م، صفحة 259)، هو نوع من الإدراك الوجداني المبني على انفعالات ذاتية طلبية أساسها المشاهدة الوصفية للمخاطب، والغرض منها تأسيس علاقات وروابط من خلال نظام تركيبي (مفردات، علاقات، علامات...) تتحدد به معالم الفعل الإقناعي المنتج لهذه العلاقات الإنسانية وهو ما يسميه طه عبد الرحمان بالتخلق (الرحمان، 1998م، صفحة 223) الذي يقدم فيه المتكلم اعتبار الغير على اعتبار الذات، حيث يدرك فيه المخاطب أنه صاحب مقام، ولهذا نجد الخطاب النبوي بتراكيبه التقعيدية والجمالية قد أسس محورا تضامنيا لإلغاء الفوارق التي أوجدت القطيعة بين مستويات المخاطبين وهو ما ندركه من خلال بعض الأمثلة التي استوفت هذا المعنى منها :

عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ :"يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتوهم فأعينوهم" (البخاري، 1400هـ، صفحة ج1/ 26).

1_1_المسوغات التضامنية:

- وجود مفردات سلبية مؤسسة لقطع روابط العملية التواصلية منها"أعيرته، جاهلية ...".
- الأسلوب الاستفهامي (أعيرته بأمه؟) للدلالة على حقيقة الفعل اليقيني، وعدم استيعاب المعنى العام للمنظومة الأخلاقية التواصلية.
- أسلوب التوكيد (إنك...) للدلالة على وجود سلطة ظالمة تسهم في هدم القيم والنسق المعرفي للأفراد والجماعات من خلال الاستعمالات الوظيفية للغة.
- الأسلوب الإنشائي من خلال الأوامر والنواهي (ولا تكلفوهم)، وعلاقته في عملية إلغاء الفوارق الطبقية وبناء الصورة التضامنية الوظيفية من خلال وجود سلطة فاعلة.
- استعمال الفعل المضارع المقترن بلام التأكيد (فليطعمه...) للدلالة على ديمومة العملية التضامنية.
- الاعتماد على بعض المفردات (إخوانكم، أخوه، مما يأكل، مما يابس...) المحفزة على تأسيس وبناء النسق المعرفي للمساواة في العملية التضامنية.

1_2_الآليات البلاغية:

كثيرة هي الصور البيانية التي أردنا أن نبين من خلالها الأثر الجمالي في العملية التواصلية وما تحدثه من تغير في مواقف المتلقى منها:

- **النداء:**

هو أحد الأساليب الإنشائية البلاغية المنتجة للحوار كوظيفة، أي علاقة تواصلية مبنية على حركية الفعل الإقناعي أو التوجيهي... ولهذا قيل:" المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين" (المتوكل، 1405هـ_1985م، صفحة 161).

استهل النبي ﷺ حواره في هذا الحديث بالنداء في قوله:" يا أبا ذر" مصرحا باسم المنادى تعظيما لمقامه، وإشارة منه إلى أمر جلل، لأنه ليس من عادة النبي ﷺ في مقام النصح والإرشاد التصريح بالأسماء أدبا منه وسترا، إلا إذا أراد تصحيح أمرا، أو ظاهرة اجتماعية تسهم في قطع الروابط والعلاقات المكونة لهذه الأمة، وبخاصة النزعة العرقية المستمدة من أصول الجاهلية. استعمل النبي ﷺ حرف الياء المعبر به عن نداء القريب والبعيد للتعريض وإسماع الحاضرين لغرض إشراكهم وإدخالهم في هذا الحوار رغم تباين مقاماتهم، وإعدادهم للرسالة التضامنية.

- **الاستفهام:**

في قوله:" **أعيرته بأمه؟**" استفهام كان الغرض منه التأكد من حقيقة الفعل الإنجازي (عيرته) الذي حدد دائرة الحوار والمستويات الكلامية المصدرة للفوارق الاجتماعية، وأما في قوله" بأمه" فهي زيادة في قوة الفعل الإنجازي للتشهير به، لأن ذكر الرجل بأمه في الجاهلية كانت منقصة دونها ضرب الرقاب، ولهذا أردف النبي ﷺ بعد الاستفهام أسلوبا خبريا في قوله "إنك امرؤ فيك جاهلية" أكد من خلاله اعتراضا منتجا للقيم الإسلامية التي أمر بها لبناء العلاقات والروابط، وهو ما استدركه من خلال صفات، وأفعال أمرية "فليطعمه، فليلبسه، فأعينوهم"، ونواهي " لاتكلفوهم" القصد منها الإلزام التضامني، من خلال ترميم العلاقات والروابط التي هدمها أبو ذر.

إن الناظر إلى السياقات في هذا الحديث يدرك حقيقة أن النبي ﷺ أراد أن يعالج ظاهرة سلبية كانت أساسا في بناء المجتمعات القديمة من خلال إلغاء الفوارق الاجتماعية الظالمة (إنك امرؤ فيك جاهلية) على حساب إنتاج علاقات تعزز من تماسك الأمة (إخوانكم، أخوكم...)، إذ كانت هذه الصور البلاغية كالأسلوب الإنشائي (الأمر، النهي...)، والخبري (التوكيد)، والبديع كالسجع(فليطعمه، فليلبسه)، وطباق السلب(كلفتموهم، لاتكلفوهم) مهيمنة على بناء الصورة التضامنية، ومقيدة لأفعال المخاطب، ومغيرة لمواقفه السلبية وهو ما يؤكد نجاح الاستراتيجية التضامنية في هذا الحديث من خلال هذه الآليات البلاغية التي أعطت دفعا وتعزيزا لتغيير المواقف السلبية عند المخاطب سواء ما كان من أبي ذر أو من قام بهذا الفعل من أمته.

2_ الاستراتيجية التوجيهية:

جاء في تعريفها أنها:" وظيفة لغوية أخرى نحاول عن طريقها السيطرة على محيطنا بشكل دائم ومنظم، بإصدار الأوامر والتحكم في تصرفات الأخرين..." (خرما، 1980م، صفحة 174).

هذا التعريف وغيره مما ورد في معناه عاجز عن أداء المقصود من التوجيه وهو بناء العلاقات والروابط بين الطرفين ،لأن وظيفة التوجيه وظيفة تكاملية لبناء القصد بين الطرفين والوصول إليه، ولهذا فالإستراتيجية التوجيهية في بنية الخطاب النبوي هي ذلك التخطيط القائم على الفعل الأمري المبني على إدراك عجز المخاطب، ورغبة في تصحيح مساره، ولهذا تعتبر السلطة التوجيهية سلطة أمرية وليست قهرية من خلال ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿لا إكراه في الدين﴾[البقرة: 256]، وهو ما نلحظه في الخطاب النبوي الذي تتفرق فيه الأمرية إلى خمسة محاور (الحرام، والحلال, والمباح، والمكروه، والمستحب).

وأما من ناحية الاستعمال اللغوي الوظيفي، فإننا نجد أن الأساليب البلاغية كالإنشاء من خلال النهي والأمر والنداء ... من أعظمها بيانا لمعنى هذه الإستراتيجية، التي تلمحنا معالمها في الكثير من الأحاديث النبوية منها.

_عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال:" من سلم المسلمون من لسانه ويده" (البخاري، 1400هـ، صفحة ج1/ 21).

2_1_المسوغات التوجيهية:

- **"قالوا"** التصريح بوجود قصور معرفي عند مجموعة من المخاطبين الغرض منه الاعتراف بالسلطة الموجهة.
- قوله:**"أي"** دلالة استفهامية للتمييز بين مستويات معرفية قبلية، الغرض منه إلغاء الفوارق الظنية وتحفيز النشاط التواصلي.
- قوله: **"أفضل"** وجود الرغبة والخضوع أكثر للسلطة الحاكمة من خلال السلطة الموجهة.
- قوله:" **المسلم** ..." تحديد الذات الفاعلة والمنتجة للقيم الإنسانية والحضارية.
- قوله:**"من سلم المسلمون**..." بناء علاقات وروابط مؤسسة للديمومة التواصلية.

2_2_الآليات البلاغية:

- **النداء:**

ورد النداء في قوله:**"قالوا يا رسول الله"** وهو نداء طلبي للقريب لأن" ياء "النداء تستعمل للقريب والبعيد من الناحية التركيبية، ولكن إذا نودي بها للقريب فهي لبيان مقام المخاطب وتنبيها لغيره، وهو ما يحفز الأخرين للتركيز على التلفي وقبول التوجيهات والإرشادات، الغرض منه بناء علاقات وروابط مع السلطة الموجهة من خلال العنصر المقامي (رسول الله).

- **الاستفهام:**

ورد الاستفهام في قوله:" أي الإسلام أفضل؟" على سبيل الاستفسار المبني على عجز في الذات المتفاعلة الغير مدركة لجوهر الفعل الحقيقي المنظم للقيم وآثارها، وهو ما يؤسس للعملية التوجيهية من خلال بيان الفرق بين الإسلام والمسلم، حيث كان الرد مخصصا لما قبله، لأن الإسلام هو صورة واحدة جامعة وأما المسلم فيمكن أن تتعدد أوصافه غير مدرك للكمال النبوي، ولهذا قال النبي ﷺ:" **المسلم" ولم يقل "الإسلام** " وذلك لتوجيه وتحديد الذات المنتجة للفعل.

- **المجاز:**

للمجاز بنوعيه اللغوي(المرسل) والعقلي(الإسنادي) أثر بالغ في توجيه المعنى والكشف عن مستويات المخاطبين اللغوية والمقامية، ولهذا نجده من أكثر الأساليب استعمالا عند العرب وفي القرآن الكريم والحديث النبوي.

استعمل النبي ﷺ أسلوب المجاز من خلال قوله:"...**من لسانه ويده..**" وهو مجاز مرسل علاقته الآلية حيث نسب الأذية والتعدي على الآخرين إلى اللسان واليد، وذلك لأنهما أكثر الوسائل استعمالا (الغيبة، القذف، القتل، السرقة...) في قطع الروابط وفساد الصورة التواصلية التي تبني وتؤسس المصطلحات المكونة لبناء الأمة.

3_الإستراتجية الإقناعية:

هي المنهج اللغوي الوظيفي الذي يعتمد على ترتيب الحجج والبراهين العقلية الوجدانية التي جعلت من إدراك رغبات المخاطب وسيلة إلى توجيهه وتغيير مواقفه، لأن الفعل الكلامي الإقناعي يرتكز في بنائه على إدراك المتكلم لبيئة المخاطب الثقافية... من خلال اتصاله بواقعه، وهو ما ذهب إليه هنريش بليث بقوله:" قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري، أو العاطفي عند المتلقي" (بليث، 1989م، صفحة 64)، ولهذا نجد البلاغة تتحدث عن مقتضى الحال عند المخاطب، إذ جعل أساسا في ضبط المنظومة اللغوية(ترتيب الحجج والبراهين) عند المتكلم، وهو ما نجده في الخطاب النبوي الذي تفوق على الأساليب العربية لقوة الحجج والبراهين العقلية الوجدانية التي بنيت في أصلها على المدركات الغيبية في كشف كنه المخاطب، والبشرية في اتصاله وإقناعه بواقعه، الغرض منها بناء مرجعية وظيفية ذاتية عند المخاطب من خلال علاقة الأفعال بالغايات والمآلات، وهو ما يجعل الخطاب النبوي مبني على التواصلية النفعية الإيجابية، ومما تلمسناه لبيان هذا المعنى بعض الأحاديث منها: .

_عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ:" أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن"، قيل: أيكفرن بالله؟ قال:"يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط" (البخاري، 1400هـ، صفحة ج1/ 26).

3_1_المسوغات:

- الإخبار عن أمر غيبي (الفكرة العامة، المآلات) هو حقيقة في الإنسان لدلالة التميز، الغرض منه بناء مواقف جديدة من منظور بشري.
- استعمال الفعل"**أريت**" المبني للمجهول للدلالة على المشاهدة الغير طبيعية، الغرض منها إبراز روابط وعلاقات تواصلية بين عالمين (الغيب والشاهدة).
- وجود فوارق ومستويات تتحدد من خلالها قابلية الخضوع والتسليم من خلال الحجج والبراهين الغير مسلم بها.
- وجود مفردات تؤسس للرمزية الغيبية في ذهن المخاطب المغيرة لمواقفه منها:
  - ✓ "**النار**" رمزية لوسيلة العقاب الأخروي.
  - ✓ "**النساء**" اسم جنس عام غير مخصص إلا بدلالة الأفعال المنتجة لهذا العقاب.
  - ✓ "**أهلها**" وجود روابط وعلاقات سلبية معبرة عن رمزية الضعف والانحطاط.

3_2_الآليات البلاغية:

- **الاستفهام:**

ورد في قوله:"**أيكفرن بالله..**" حيث كان الغرض منه التأكيد بطريقة الاستغراب، وهو منهج نفسي انفعالي يستلزم جوابا نفعيا لبقاء العلاقة واستمرارها بين المتلقين، لأن تحديد المصطلح اللغوي المؤسس لبناء علاقة بين المخاطبين يجب أن يبنى على أدلة نفعية وإلا كان العكس، فالكفر المقصود الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أسلوب التفصيل بعد الإجمال خفف من معاناة المتلقي لقبول الرسالة المبنية على صور حياتية واقعية مشاهدة كإنكار العشرة والإحسان في بعض الخصومات المؤدي إلى القطيعة بين الزوجين وفساد الحياة، وكذلك الكفر بالله فهو قطيعة بين المنعم والمنعم عليه.

- **التكرار:**

يعد التكرار أحد أنواع الأسلوب الخبري التي تأتي للتأكيد، أو أحد صور الإطناب المفيدة، حيث ورد الفعل الإنجازي في قوله:"**يكفرن...يكفرن**" مكررا للتأكيد على نوع من أنواع الكفر وهو الإنكار المؤدي إلى قطع الروابط التي ترتكز عليها الأسرة في وحدتها وتلاحمها، وما يحدثه من أثار سلبية في مستقبلها، لأن التكرار من الناحية الوظيفية هو وسيلة إقناعية تزيد في ربط العلاقة من خلال تعزيز الشعور بتمكن المتكلم من رسالته.

- **النفي:**

هو أحد أنواع الأسلوب الإنشائي الذي تتضح معالمه من خلال أدوات تركيبية مثل ما واللام وهي أشهرها، حيث ورد النفي في قوله:" **ما رأيت...**" كقوة إنجازية على الإنكار المؤسس لإلغاء التماسك والانسجام العقلي بين الطرفين والمؤسس للفوارق من خلال تقديم الذاتية على التعاون والتلاحم.

للأليات البلاغية التي سبق ذكرها نجد أثرا واضحا في قوة وبيان الحجج والبراهين من خلال استخدامها في الإستراتيجة الإقناعية التي كشفت عن القيمة الحوارية المبنية على التساؤلات العقلية اللغوية.

4_الإستراتجية التعليمية:

هي تلك المفاتيح اللغوية الخاصة (المفردات، العلاقات...) التي تضبط وتقنن الأفعال الكلامية لخلق نظام يحافظ على التواصل الثقافي والاجتماعي للمجموعة، أو الأمة الواحدة، لبناء نسق لغوي عقلاني تتشكل من خلاله الذات الفاعلة في الحقول المعرفية المنتجة للحضارة الإنسانية عموما، والإسلامية في خطابها القرآني والنبوي خصوصا، وقد أشار بارت إلى هذا المعنى في معرض التدليل على مفهوم التعلم حيث قال بأن التعلم:" يعود إلى الميكانيزمات التي يستخدمها الفرد لاكساب مفاهيم، بينما استراتيجيات التعليم هي المساعي التي يصممها المعلم لتمكين من هذا الاكتساب" (لوريسي، 2015، صفحة 193).

تعد الاستراتيجية التعليمية في الخطاب النبوي أعظم اتساعا من خلال مفرداتها التي اكتسبت قوة وجمالا من المعنى القرآني الذي أعطى بعدا تواصليا للفعل التعليمي المنتج للفهم، وإعادة بناء النسق العقلي للأفراد والجماعات، وهو ما نسعى لبيانه من خلال الأمثلة التي تجلت فيها معالم هذه الاستراتيجية نذكر منها:

_عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" (البخاري، 1400هـ، صفحة ج1/ 20).

استهل النبي ﷺ حديثه من خلال بعض المفردات التي تؤسس للعملية التعليمية بمجموعة من الأدوات والآليات التي اتضحت من خلالها الرسالة الوظيفية المحدد للمعنى المرغوب فيه الذي اكتسب قبل هذا مفهوما خاطئا لمصطلح "الدين" عند مجموعة من المتدينين الجدد من خلال اسبقيت الأفعال اتجاه هذا المصطلح(الإسلام) كمفهوم جديد عند المسلمين و(الدين) كمفهوم قديم عند المشركين.

إن الاستراتيجية التعليمية في الخطاب النبوي لها مسوغاتها وأدواتها وآلياتها التي تحقق من خلالها مضمون الرسالة.

4_1_ المسوغات

- وضع مفهوم جديد لمصطلح الدين من أجل تقيد الأفعال المستقبلية
- تحديد معالم الرسالة الجديدة لبناء مجتمع متميزمنخلال منظومة لغوية مؤثرة في العملية التواصلية لهذا المجتمع
- الإشارة إلى العدد(خمس) هو للدلالة على تقييد المرسل إليه من خلال وجود سلطة تنظم العلاقات وتضع الروابط المهيمنة لإنتاج القيم الفاعلة لمضمون هذه الرسالة.
- ترتيب عناصر الرسالة(الشهادة، الصلاة...) لإلغاء الفوارق وخلق قابلية من خلال التدرج لتسهيل العملية التعليمية.
- الابتداء بالفعل المبني للمجهول أو الفعل الذي لم يسمى فاعله في التركيب "بني الإسلام" وذلك لاستحضار المشاهد والمفردات القديمة للتأثير على المتلقي وفتح مساحة جديدة للتفكير وطرح التساؤلات للوصول إلى حقيقة الباني لهذا الإسلام .
- وجود المفردات التعليمية التي تساهم في خلق الروابط الروحية(الصلاة) واجتماعية (الزكاة) ... ما بين المسلمين وغيرهم.

4_2_ الآليات البلاغية:

تعد البلاغة من خلال أصولها وفروعها ركيزة هامة في وضع الاستراتيجية التعليمية وآلية من آليات التواصل التي تكشف عن مختلف الاستعمالات الوظيفية للغة في الخطاب النبوي وهو ما نلحظه من خلال بعض الصور البيانية في هذا الحديث منها:

- **الاستعارة:**

هي فرع من فروع علم البيان ، قال السكاكي :"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه من اسم جنسه" (السكاكي، 1987م، صفحة 369)، ولكن ما نود دراسته والوصول إليه في الاستعارة هو الجانب الوظيفي ولهذا قيل في تعريفها "تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي" (الشهري، 2004م، صفحة 495) ، وقال أبو هلال العسكري:" وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة " (العسكري، 1419هـ، صفحة 269)، و الخطاب النبوي في هذا هو من بين

الخطابات التي ترتكز في مضمونها على الاستعارة لما لها من قوة في التصوير واستحضار المعاني المؤثرة في المتلقي، ومما ورد في هذا الحديث الاستعارة المكنية وهي أحد أنواع الاستعارة التي يحذف فيها المشبه به مع إبقاء أحد لوازمه الدالة عليه.

قال ﷺ :"بني الإسلام على خمس" استعارة مكنية حيث حذف المشبه به وهو البيت الذي جعله رمزا للدلالة على الإسلام وأبقى على شيء من لوازمه وهو البناء، إذ أعطت هذه الصورة مجموعة من المميزات الوظيفية التفاعلية من خلال مفردتها للتمييز بين الماضي والحاضر في فهم الدين وبيان مرتكزاته التي نوجزها فيما يأتي:

- ✓ **"بني"** هي إشارة إلى تميز الإسلام عن غيره في خصوصيتة التركيبية الغير معهودة من خلال استحضار المشاهد القديمة للديانات الأخرى(الشركية...) التي لم تكن لها صورة ولا تنظيم هيكلي إلا النفعية الذاتية والاستغلال وهو ما يحفز المتلقي للتسليم واستمرار في العملية التعليمية.
- ✓ **"الإسلام"** مفردة جديدة للدين الغرض منها أسر وتقييد المتلقي للاستمرار ومتابعة الحوار وهو مشتق من السلام الذي كانوا ينشدونه في مفرداتهم السابقة التي عايشوها من خلال ظلم سادتهم والأمل برؤية جديدة في الأفق من خلال المشاهدة الواقعية للمتكلم.

- **الإيجاز:**

هو من الأساليب التي تميز بها الخطاب النبوي وأعظمها استعمالا عند العربي لما يحدثه من أثرفي نفسية المتلقي من انبهار بالقيمة اللغوية والكم المعرفي للمعاني والدلالات.

ينقسم الإيجاز إلى قسمين أحدهما إيجاز القصر وهو غبارة عن ألفاظ قليلة لمعاني كثيرة ...والآخر إيجاز حذف وهو إسقاط حرف أو كلمة أو جملة مع بقاء المعنى تاما من غير نقصان...وهو تلمسناه في مفردات هذا الحديث منها:

- ✓ **"على خمس"** إيجاز حذف الأصل فيه أن يقال على خمسة أركان أو أعمدة غير أنه اقتصر على ذكر العدد لدلالة البناء عليه ابتعادا عن التكرار المخل وهو ما يدل على احترام المتكلم للمخاطب الذي فهم معنى هذا الحذف، والدليل عدم وجود اعتراضات على معنى "خمس"، مما يدل على الانسجام في العملية التعليمية.
- ✓ **"شهادة ..."** إيجاز قصر الغرض منه اعتراف ضمني يحدد العلاقة الخاصة بين العبد وخالقه، الغرض منها التواصل الدائم لتحقيق الأهداف والأغراض الدنيوية والأخروية
- ✓ **"إقام الصلاة.."** إيجاز حذف الغرض منه التوسع التدريجي لبناء العلاقات والروابط الروحية الفردية داخل المجتمع المتكامل، من خلال آثار هذه العبادة المشتركة.
- ✓ "الزكاة" إيجاز حذف الغرض منه خلق للعلاقات المادية والاقتصادية التي تحقق النفعية الجماعية المبنية على العدل.
- ✓ **"صوم رمضان"** إيجاز حذف و الأصل أن يقال شهر رمضان، والغرض منه التميز الزماني المرتبط بالوحي والتحفيز على تقوية الروابط والعلاقات النفسية والإجتماعية من خلال هذا الزمن الذي يتوفر فيه الجزاء والعطاء.

الخاتمة:

ومما نستخلصه من نتائج بعد سياحتنا في بساتين المعاني والدلالات الحديثية الآتي:

1_تعد البلاغة العربية عموما والبلاغة النبوية خصوصا حقلا تداوليا، لما له من أثر في بناء العلاقات التواصلية النفغية الإيجابية بين المتكلم والمخاطب.

2_للآليات البلاغية (الاستعارة والايجاز والأساليب الانشائية والخبرية...) في الخطاب النبوي دورا في تحفيز وقبول الرسالة عند المتلقي، والارتقاء بالفعل الكلامي من الوظيفية اللغوية إلى الوظيفة التداولية النفعية.

3_يتميز الخطاب النبوي بشموليته في استعمال الاستراتيجيات جملة واحدة مما يدل على تنوعه من الناحية القصدية.

4_المنهج البلاغي أساس في المنهج التداولي لما له من جماليات (المحسنات البديعية...) تمكن المعنى في قلب السامع .

5_تكمن قوة البلاغة التواصلية من خلال أصولها في إيراد المعاني بطرق مختلفة للكشف عن ثرائها وتنوعها الدلالي الذي يسهم في العملية التواصلية لمختلف مستويات المخاطبين.

6_للإستراتيجيات اللغوية أهمية في توجيه المعاني والدلالات التي تسهم في بناء العلاقات الإيجابية والنفعية بين المرسل والمرسل إليه في الخطاب النبوي.

7_يحتاج الخطاب النبوي إلى دراسات معمقة للكشف عن الجوانب التداولية وأثرها في العملية التواصلية، ولهذا نوصي بدراسة الحديث النبوي كخطاب لغوي تداولي له قيمة وظيفية تواصلية من الناحية المقامية والإلزامية والقصدية في بناء الذات الفاعلة والمنتجة للفعل الحضاري.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

1_أكسفورد ريبكا ، استراتيجيات تعلم اللغة، تر، السيد محمد دعدور، مكتبة الأنجلو المصرية، دط،،1996م.

2_البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، الجامع المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة – السلفية ومكتبتها، ط1، 1400هـ.

3_الجاحظ، البيان والتبين، تح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط7، 1998م.

4_خرما نايف :(1980) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د ط، سلسلة كتب العالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

5_ديريفوس أبيير وبول رابينوف، ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية) ترجمة أبي صالح، مراجعةوشروح مطاع صفدي، مركز إنماءالقومي، بيروت، دت.

6_ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.

7_الشهري عبد الهادي بن ظافر، ستراتيجيات الخطاب،مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004م.

8_ عبد الرحمان طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998م.

9_ لوريسي عبد القادر ، المرجع في التعليمية الزاد النفسي والسند الأنيس في علم التدريس، دار الجسور،الجزائر، ط2، 2015م.

10_المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1405_1985م.
11- العسكري أبو هلال الحسن، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1371هـ_1952م.

References :

al-Qur'ān al-Karīm.
1 _ Uksfūrd rybkā, Istirātījīyāt ta'allum al-lughah, tara, al-Sayyid Muḥammad Da'dūr, Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, dṭ,, 1996m. -.
2 _ al-Bukhārī Abū Muḥammad Muḥammad ibn Ismā'īl, al-Jāmi' al-Musnad min Ḥadīth Rasūl Allāh ṣallá Allāh 'alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh, ṭḥ : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, al-Maṭba'ah al-Salafīyah wa-Maktabatuhā, Ṭ1, 1400h.
3 _ al-Jāḥiẓ, al-Bayān wāltbyn, ṭḥ : 'Abd al-Salām Hārūn, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, ṭ7, 1998M.
4 _ khrmā Nāyif : (1980) Aḍwā' 'alá al-Dirāsāt al-lughawīyah al-mu'āṣirah : D Ṭ, Silsilat kutub al-'ālam al-Ma'rifah, al-Majlis alwwālfnwnṭny lil-Thaqāfah wa-al-Ādāb al-Kuwayt.
5 _ dyryfws abyyr wa-Būl rābynwf, Mīshīl Fūkū (masīrat falsafīyah) tarjamat Abī Ṣāliḥ, mrāj'twshrwḥ Muṭā' Ṣafadī, Markaz inmā'ālqwmy, Bayrūt, dt.
6 _ al-Sakkākī, Miftāḥ al-'Ulūm, ṭḥ : Na'īm Zarzūr, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Lubnān, ṭ2, 1987m.
7 _ al-Shahrī 'Abd alhādālkhṭāby ibn Ẓāfir, strātyjyāt, muqārabah tadāwulīyah, Dār al-Kitāb al-Jadīdah al-Muttaḥidah, Ṭ1, 2004m.
8 _ 'Abd al-Raḥmān Ṭāhā : al-lisān wa-al-mīzān aw al-Takawthur al-'aqlī, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, al-Maghrib, 1998M.
. 9 _ lwrysy 'Abd al-Qādir, al-Marji' fī al-ta'līmīyah al-zād al-nafsī wa-al-sanad al-Anīs fī 'ilm al-tadrīs, Dār al-Jusūr, al-Jazā'ir, ṭ2, 20
10 _ al-Mutawakkil Aḥmad, al-waẓā'if al-Tadāwulīyah fī al-lughah al-'Arabīyah, Dār al-Thaqāfah, al-Dār al-Bayḍā', al-Maghrib, Ṭ1, 1405 _ 1985m.
11-al-'Askarī Abū Hilāl al-Ḥasan, al-ṣinā'atayn (al-kitābah wa-al-shi'r), ṭḥ : 'Alī Muḥammad al-Bajāwī, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Sharikā'uh, Ṭ1, 1371h _ 1952m